قصيدة رحل النهار للشاعر حسين عبد اللطيف ـ دراسة في الموسيقى الداخلية

م.م محمد علاء المنصوري
mohammedalmansury9495@gmail.com
جامعة البصرة/ كلية التربية ـ القرنة

الملخص

جاء عنوان هذا البحث تحت مسمى : (قصيدة رحل النهار للشاعر حسين عبد اللطيف ـ دراسة في الموسيقى الداخلية) ليحاول الكشف عن الكيفية التي وظف فيها الشاعر الموسيقى الداخلية التي كان لها الأثر الواضح والفعَّال في اكتساب قصيدته بعدًا إيقاعيًا و جرسًا موسيقيًا , التي أسهمت بشكل ملموس في بيان مشاعره وعواطفه التي حاول التعبير عنها وإيصالها إلى المتلقي، فعمل البحث على التعرف على أشكال الموسيقى الداخلية التي وظفها الشاعر في قصيدته ليوصل ما يعتريه من آلام وأحزان بهدف إخراج آهاته وجعل المتلقي يتفاعل معه , فوقف البحث على بيان بعض الأساليب الإيقاعية الداخلية للقصيدة المتمثلة بالتكرار وأنواعه مثل تكرار الأحرف والألفاظ فضلًا عن الأساليب الإيقاعية الأخرى التي أدت دورًا مهمًا في بناء الجملة الشعرية وقابليتها على إحداث التأثير المطلوب في نفس متلقيها .

الكلمات المفتاحية : الموسيقى الداخلية , قصيدة رحل النهار , التكرار .

A study of Internal rhymes of Hussein Abdullatif poem's A Departed Day

Assist.lect. Mohammed Alla Almansouri
Basrah University–College of Education in Qurna

Abstract

The title of this research came under the name (The poem “The Day Has Gone” by the poet Hussein Abdel Latif, a study in internal music) to attempt to reveal how the poet employed internal music, which had a clear and effective impact on his poem acquiring a rhythmic dimension and musical timbre, which contributed significantly to the statement. His feelings and emotions that he tried to express and convey to the recipient. The research worked on identifying the forms of internal music that the poet employed in his poem to convey the pain and sorrows he

was experiencing with the aim of bringing out his groans and making the recipient interact with him .

The research focused on explaining some of the internal rhythmic methods of the poem represented by repetition and its types, such as the repetition of letters and words, in addition to other rhythmic methods that played an important role in the construction of the poetic sentence and its ability to produce the desired effect on the soul of its recipient.

Keywords : internal music, poem The Day Has Gone, repetition

التمهيـد :

تعد الموسيقى أحد أهم الخصائص الفنية للشعر ؛ لأنَّها " لغة الشعر , التي تضبط الإيقاع ، وتحفظ جمال الفن فيه "[١] , وهي تفضي على النص العديد من الدلالات العاطفية والنفسية ؛ لما لها من تأثير شديد في المتلقي فهي تحرك فيه العاطفة وتثير فيه المشاعر والوجدان [٢] . فالموسيقى سر من أسرار الخطاب الشعري وهي لصيقة به وأبرز ما يميزه " فلا يمكن تصوّر وجود شعر دون وجود موسيقى ، بغضّ النظر عن ماهية الموسيقى وكيفية خلقها , وإن كان الشعر في مفهومه الواسع , يتوجه بخطابه إلى عواطف الناس وأحاسيسهم ويستثير اهتمامهم بالصور التي يعبّر عنها ، والأخيلة التي يمدّ آفاقه إليها , فإنَّ لموسيقى ذلك الشعر منزلتها التي لا يمكن تعويضها أو الاستغناء عنها[٣] , إذ إنَّ الموسيقى تمثل " دفقات الدم المندفعة في شرايين العمل الفني , والتي تمده بالحياة والتجدد ، ويعد من أهم المعايير التي يمكن أن تقاس بها مهارة الأديب وتمكنه من أسرار فنه ومهنته , إنَّه عالم السحر الذي يفتحه الفنان لجمهوره كي يستقطبه تمامًا داخله "[٤] .

ومن هنا يبرز لنا الشاعر حسين عبد اللطيف في قصيدته (رحل النهار) موضوعاته الشعرية من خلال ايقاع وزني وشعري ممنوع وفي خضم هذا التنوع توالت نقلات الشاعر الفنية لتشكل بهذا المزيج حالة انتشار شعري تشكيلي اتسم بالخصوبة الايقاعية والوزنية , فضلًا عن طول الأسطر الشعرية والتنوع في القافية , ومن هنا يمكن عد هذا التنوع تجسيدًا لمنطق القصيدة الداخلي المتسم بالحركة والتنوع [٥] , إذ نجد أنَّ الشاعر يحمّل القصيدة تنويعًا إيقاعيًّا يعكس ثراء البنية الدلالية للقصيدة , ومن ثمَّ جمال ورونق المفردات المستخدمة من خلال تركيز الشاعر على قافية مسترسلة , كما يظهر ذلك النص الشعري , مما يعكس تركيز الشاعر على مضمون القصيدة , فضلًا عن الحفاظ على جوها الموسيقي المنوع ابتعادًا عن الرتابة والملل مما يجعل القصيدة جوًّا موسيقيًا متدفقًا متوازنًا صوتًا وشكلًا ودلالةً وجمالًا .

وهذا ما يتضح عند الشاعر في قصيدته التي يقول فيها :

رحل النهار إلى الغروب
وضاع مفتاح الدروب
وضاع مف ....
وقبالة المرآة , بعدك تجلسين
فيا لطول البال , بالك يا أمينهْ
تسرحين وتعقصين
وتخلعين وتلبسين
وتلبسين وتخلعين
هيا وجوزي .. يا أمينهْ
في مركز العشار قد سقطت وفي سوق العطار
طفل وشيخ
وصبية لحقت بخالتها العجوز
وعلى جناح السرعة القصوى ستأتي
سيارة الإسعاف وتلتقط الجريح
ريح لريح
ما من هدوء أو سكينهْ
إن المدينهْ
من مفرط بهجتها وتعذرني حزينهْ
صوت القذيفة : من نثار التوت يحمر الهواء
ويلم من خجل بذراه
وكحبة الرمان تنغلق المدينهْ
وعلى الرمال تقوم ثانية وتصعد جلناره

لقد شهدت قصيدة حسين عبد اللطيف تنويعًا ايقاعيًا أثرى البنية الدلالية للقصيد , وزادها جمالًا ورونقًا وهنا يمكن تفرد عطائه الجمالي الذي لا يمكن عزوه لعنصر دون آخر , وإنَّما هو جمال مبعثه النص وحده شكلًا ومضمونًا .

وتتكون الموسيقى الداخلية من عدة عناصر تزيد من النغمة الشعرية ومنها :

ـ التكرار : يعد التكرار " نسقًا تعبيريًا مهمًا في بنية الشعر التي تقوم على تكرير السمات الشعرية، ومعاودتها في النص بشكل تأنس إليه النفس التي تتلهف إلى اقتناص ما وراءه من دلالات مثيرة "[٦]، فالبنية الشعرية غالبًا ما تكون " ذات طبيعة تكرارية حين تنتظم في نسق لغوي لتبني معمارًا شعريًا مثقلًا بالقيم الروحية والدلالات النفسية المخبوءة تحت الكلمات "[٧] ،

فضلًا عن ذلك فهو يمثل " تجلية للمعنى وتزكية له أو رغبة من الشاعر في التوكيد والتفصيل ومن ثم تنمية المعنى وبلورته "[٨] ، بالإضافة إلى أنه يشكل نغمًا شجيًا مميزًا وقيمًا صوتية مؤثرة وأبعادًا إيقاعية بارزة , وهذا ما سنجده في قصيدة حسين عبد اللطيف " رحل النهار " التي سنحاول من خلال هذه الصفحات رصد أهم أنماط التكرار الواردة فيها ، التي مثلت ظاهرة بارزة ومميزة في بنيتها الشعرية .

ـ أولًا : تكرار الحروف : يعد تكرار الحروف من أنماط التكرار المنتشرة والشائعة في الخطاب الشعري ، إذ يعد الحرف في النص الشعري من الظواهر الصوتية والأدوات الإيقاعية التي ترتبط بالحالة النفسية للشاعر ، بغية توصيل التأثير الشعوري للمنتج وخلق الانفعال العاطفي للتأثير على للمتلقي وتفاعله مع النص ، فضلًا عن إيصال الدلالة باعتبار أن القيمة الموسيقية الناتجة عن التكرار تعد ذات صلة بالفكرة التي يروم الشاعر إبرازها والإبلاغ عنها .

ومن تكرار الحروف في قصيدة رحل النهار نجد :

ـ تكرار حرف المد " الياء " الذي شكل في القصيدة إيقاعًا نغميًا ساعد على إثراء الموسيقى الداخلية في بنية الخطاب الشعري ، فجعل حرف (الياء) نغمة مركزية تنطلق منها الأصوات التي تثير في المتلقي وقعًا خاصًا يكشف من خلاله نفسية المتكلم ومكنوناتها ، ومنه قوله :

وقبالة المرآة بعدك تجلسين

فيا لطول البال بالك يا أمينهْ

تسرحين وتعقصين

وتلبسين وتخلعين

وتلبسين وتخلعين

وكذلك قوله :

سيارة الإسعاف و تلتقط الجريح

ريح لريح

ما من هدوء أو سكينهْ

إنَّ المدينهْ

من مفرط بهجتها وتعذرني حزينهْ

فنلاحظ أن تكرار حرف الياء قد هيمن على جسد القصيدة ، فقد تكرر في عموم القصيدة حوالي (١٤) مرة ، وتكراره باعث على بيان ما يمر به الشاعر من أبعاد نفسية , فحرف الياء يحمل قيمة صوتية وشحنة موسيقية ، مناسبة لإيقاع الانكسار والأسى التي تمر به نفس الشاعر ، فهي تعاني الانطفاء ونهاية الأحلام ، كما أن تكرار صوت الياء الذي هو أحد حروف المد يؤدي إلى طول النفس الشعري الذي يجعل الشاعر يوظف آهاته في صدره بصورة مد وكشف

عن الحالة النفسية له ، فهذا المد له أثره في بناء القصيدة الداخلي وتأثيرها في المتلقي ، وبذلك يشكل التكرار أحد مكونات الموسيقى الشعرية " وجزءًا من قاعدته العامة وطريقًا من طرقه التكوينية ، فالتكرار بدوره يخلق لغة جديدة تتجانس ولغة النص السياقي وتختلف أبعادها الدلالية من سياق إلى آخر حسب الفضاء النصي "[٩] ، كما أنَّ اختيار الشاعر تفعيلات (متفاعلاتن) الذي فيه زمان الترفيل هو بحد ذاته يجعل من التفعيلة طويلة نسبيًا مما يتلاءم مع ما يمر به الشاعر من أحزان وآلام تختلج صدره ، وهو ما يعطي احساسًا موسيقيًا انفعاليًا يوحي بمعاناة التجربة النفسية في زمن يشعر فيه الإنسان بالاغتراب الذي سلب منه الإحساس بلذة السعادة والفرح .

كذلك نجد في المقطع سابق الذكر تكرار حرف الراء كما في (الجريح ، ريح لريح) ، فجاء اختيار الشاعر لحرف الراء نتيجة للتجربة الانفعالية الموجعة التي يعيشها فهو في حالة انكسار وتكرار صوت الراء جاء مناسبًا لذلك ؛ لأنَّه يحمل نغمًا موسيقيًا حزينًا , فكان له الأثر البالغ في اضفاء التماسك الموسيقي والدلالي بين الحرف , وما يريد الشاعر أن يوحي للمتلقي بما يجول في وجدانه من دلات نفسية عن طريق تكرار الحرف .

ومن التكرار أيضًا تكرار الضمير (الهاء) الذي شكل حضورًا موسيقيًا رائعًا في القصيدة وربما هو ناتج عن رغبة الشاعر في تفاعل البناء الموسيقي للنص الشعري ، ومنه قوله :

ما من هدوء أو سكينهْ

إنَّ المدينهْ

من مفرط بهجتها وتعذرني حزينهْ

فتكرار الشاعر لهذا الحرف جعل الخطاب الشعري ذا نغمة موسيقية ذات دلالات متعددة منها الترنم الموسيقي , فضلًا عن الارتباط بالحالة النفسية ، فحرف الهاء هو " صوت حلقي من أقصى الحلق ، وهو مهموس شديد منفتح ، ولا يهتز معه الوتران الصوتيان بل ينغلق معه الهواء فترة ثم يسمح بمروره بعد النطق به " [١٠] , وهذا الحرف يتناسب مع حالات الانكسار والانفعال النفسي , فهو ذو نغمة موسيقية ذات دلالات متعددة منها الترنم الموسيقي فضلًا عن ملائمته للحالة النفسية , فغالبًا ما يستعمله الشعراء للتعبير عما يجول في أحاسيسهم الوجدانية , فهو يمتلك القدرة على التنفيس عن تلك الآهات والخلجات التي يحويها وجدان الشاعر ، فجاء تكرار هذا الحرف يحمل نغمة موسيقية ذات دلالات متعددة منها الترنم الموسيقي فضلًا عن الارتباط بالحالة النفسية ، فنلاحظ أن الشاعر كرر هذا الحرف لكي يتنفس من خلاله ، ويعبر من خلاله عمّا يدور بوجدانه من ألم .

ـ ثانيًا : تكرار الجملة : يقوم الشاعر عادة بتكرار بعض الألفاظ فهو من الملامح الأكثر بروزًا لتلاحم النص وانسجامه فيشد أطرافه بعضها إلى بعض ويحقق نوعًا من الحركة [١١] , فاللفظة

المكررة بمثابة مركز لإشعاع دلالات القصيدة ، فيكشف الإيقاع من خلال علاقات الحقول الدلالية المتداخلة ، ويمثل تكرار الألفاظ أو الجمل " أحد أنواع التكرار الرئيسة ؛ لأنَّه به يستطيع الشاعر الإيحاء للآخرين بمضمون معين يحاول تأكيده "[١٢] .

ونرى الشاعر حسين عبد اللطيف كرر لفظة (تلبسين وتخلعين) ليصور لنا مدى الانفعال النفسي الذي يعيشه وهو بذلك حقق نغمًا ايقاعيًا عن طريق تكرار هذه اللفظة , فالتكرار أصبح سمة بارزة في خطابه الشعري , وصار متنفسًا للشاعر للبوح عن مشاعره وأحاسيسه وصدى لمعاناته النفسية .

ـ الطباق : يعد الطباق أحد العناصر التي تشكل الموسيقى الداخلية والنغمة الشعرية للقصيدة , والطباق هو الجمع بين المتضادين أي معنيين متقابلين في الجملة[١٣] , ويكون أما بلفظ من نوع واحد أو اسمين أو فعلين أو حرفين أو بلفظين من نوعين مختلفين واستخدامات الطباق مهمات محددة تلبي دواعي التجربة الشخصية والتذوق الجمالي والتأثير النفسي وليس مجرد حلبة لفظية أو تلاعب بالكلمات والموسيقى [١٤] ، وقد ورد الطباق في قصيدة حسين عبد اللطيف ليخلق جوًّا موسيقيًا داخليًا يعطي القصيدة تكاملًا وهذا ما نجده على سبيل المثال في قوله :

وتلبسين وتخلعين

وتلبسين وتخلعين

حيث ورد الطباق بين (تخلعين وتلبسين) , فالشاعر من خلال مطابقته يسعى إلى إيحاء موسيقى داخلية لكي يؤثر أكثر في المتلقي ولكي يتناسب وجو القصيدة النفسي .

ـ التدوير : يعرف التدوير بأنَّه " هو الذي اشترك شطراه في كلمة واحدة بأن بعضها يكون في الشطر الأول وبعضها الآخر يكون في الشطر الثاني ومعنى ذلك أن تمام وزن الشطر يكون بجزء من كلمة "[١٥] ، فهو انقسام في الكلمة بأن يقع " بعضها في آخر الشطر الأول وبعضها في أول الشطر الثاني "[١٦] , وهو من الظواهر الايقاعية الموسيقية في الخطاب الشعري عند الشاعر حسين عبد اللطيف ، فالتدوير كثيرًا جدًا في قصيدته ، ومن الأشطر التي ورد فيها التدوير قوله :

رحل النهار إلى الغروب

وضاع مفتاح الدروب

وضاع مف ....

وقبالة المرآة بعدك تجلس

فيا لطول البال بالك يا أمينه

تسرحين وتعقصين

وتلبسين وتخلعين

وتلبسين وتخلعين

وهو بذلك يسبغ على البيت ليونة وغنائية ؛ لأنه يمد ويطيل نغماته الموسيقية فينتج في النص الشعري امتدادًا تلاحميًا منسجمًا لينتج مجالًا موسيقيًا مؤثرًا ، وهذا التنوع في الخطاب الشعري للشاعر من حيث الأنماط الموسيقية المتعددة أغنت القصيدة وحققت تألفها مما أدى إلى التماسك والاتساق والانسجام في بنية القصيدة موسيقيًا ودلاليًا ، بالإضافة إلى تأثير التكرار في إحساس المتلقي ووجدانه عن طريق النغمة الموسيقية التي أحدثتها اللفظة المكررة .

الخاتمة

بعد أن انتهينا بحمد الله وتوفيقه من هذا البحث الموجز في ظاهرة توظيف الايقاع الداخلي في قصيدة (رحل النهار) للشاعر حسين عبد اللطيف تمخض عنه عدة نتائج نوجز منها :

ـ يبرز لنا الشاعر حسين عبد اللطيف في قصيدته رحل النهار جوًّا شعريًّا منوعًا يشيع في أرجاء القصيدة بأكملها , وهذا ما يعكس ثراء البنية الايقاعية والدلالية للقصيدة , مما يأخذ بيد السامع إلى متابعتها , والتأثر بجوها , والانجذاب بأحاسيسه إليها , من خلال الجو الشعري المتسم بالخصوبة الايقاعية والدلالية التي أضافها الشاعر على قصيدته , مما جعل القصيدة جوًّا موسيقيًا متدفقًا , ومتوازنًا صوتًا ودلالةً .

ـ انسجام بعض الحروف وتكرارها في القصيدة يثير اهتمام المتلقي ويشده إلى معرفة دلالات التكرار فعلى سبيل المثال تكرار حرف الياء من قبل الشاعر أسهم في تآلف النص الشعري صوتًا ودلالة مع ما يريد المنتج ايصاله ، فجاء تكرار الحروف للتأكيد على حالة الانطفاء والقلق

والغربة التي تسيطر على ذاته , ومن هنا يكون احساس الشاعر والمتلقي قد دخل في هذا التناغم الصوتي المتمثل بتكرار الحروف وتنسيقها .

ـ إنَّ التنوع في الموسيقى الداخلية للقصيدة بشكل منظم ومتناسق تجعل المعنى أكثر إثارة وتماسكًا لينفذ إلى نفوس متلقيه بسهولة ويزيد من انتظام فعالية البنية الإيقاعية في النص الشعري .

ـ من الأمور التي أسهمت في صنع الموسيقى الداخلية في قصيدة الشاعر تكرار أصوات الياء والراء والهاء والطباق والتدوير ، مما أعطى القصيدة قيمة موسيقية , ودورًا بارزًا في ربط الشعر بدلالته فالموسيقى لها صلة عضوية بالشعر وربطه بنفسية منتجه لذا نجد أنَّ الشعراء يستخدمون حروفًا دون غيرها في قصائدهم في محاولة منهم لإيصال ما يرومون إيصاله إلى المتلقي .

ـ للتكرار قيمة موسيقية يضفي على الخطاب الشعري جوًّا عاطفيًّا مؤثرًا في القارئ مما يلفت المتلقي ويشدّه ، بالإضافة إلى القيمة الدلالية التي يحدثها تكرار لفظ أو صوت معين ، فالموسيقى التي يحدثها التكرار غالبًا ما تأتي منسجمة مع رسالة النص الشعري , فهي تحدث توازنًا في بنية القصيدة صوتًا ودلالة , فللتكرار دور بارز في تلاؤم النصوص سواء كان على المستوى الموسيقي أم الدلالي .

هوامش البحث :

[١]. التجديد في الشعر الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية ، يوسف عز الدين : ٧٦ .

٢. ينظر : موسيقى الشعر , إبراهيم أنيس : ١٩ .

٣. الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية – محمود درويش أنموذجًا ، أسية داحم : ٣ .

٤. عناصر البلاغة الأدبية ، نبيل راغب : ١٢٢

٥. ينظر : الشعر الحديث في البصرة ، فهد محسن : ٥٦

٦. جماليات التكرار في القصيدة العربية المعاصرة " أحمد مطر أنموذجًا " ، ، سمراء مكي ، كريمة مكي : ١٩

٧. نفسه : ١٨

٨. البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام ، رشيد شعلان : ٢٥٢

٩. جماليات التكرار في القصيدة العربية المعاصرة " أحمد مطر أنموذجًا " : ٤٧

١٠. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي , ممدوح السعران : ١٤٩

١١. ينظر : الأسلوبية وتحليل الخطاب , منذر عياشي : ٧٧

١٢. توظيف الموسيقى الداخلية عند شعراء المثنى ما بعد ٢٠٠٣م ، د. محمد فليح الجبوري , حسن عبد الأحد سهيل : ١٢

١٣. ينظر : لسان العرب ، ابن منظور : مادة (طبق) : ١٢٠

١٤. ينظر : فن الطبقات في أدب التوقيعات ، منيرة فاعور : ١٢٣

١٥. قضايا الشعر المعاصر , نازك الملائكة :٩١

(١٦) . نفسه , الصفحة نفسها .

المصادر والمراجع

ـ الأسلوبية وتحليل الخطاب , منذر عياشي , دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع , دمشق , سورية , ط١ , ٢٠١٥م .

ـ الإيقاع المعنوي في الصورة الشعرية – محمود درويش أنموذجًا ، أسية داحم ، رسالة ماجستير ، جامعة حسيبة بن بو علي , الجزائر ، ٢٠٠٩م .

ـ البنية الإيقاعية في شعر أبي تمام ، رشيد شعلان , رسالة ماجستير , جامعة عنابة , الجزائر , ١٩٩٣م .

ـ التجديد في الشعر الحديث بواعثه النفسية وجذوره الفكرية ، د.يوسف عز الدين , النادي الأدبي الثقافي , جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٦٨م .

ـ الشعر الحديث في البصرة ـ دراسة فنية , فهد محسن , دار الشؤون الثقافية العانة , بغداد , ط١ , ٢٠٠٧م .

ـ توظيف الموسيقى الداخلية عند شعراء المثنى ما بعد ٢٠٠٣م ، د. محمد فليح الجبوري , حسن عبد الأحد سهيل , مجلة أورك , ع ٢ , مج ١٠ , ٢٠١٧م .

ـ جماليات التكرار في القصيدة العربية المعاصرة " أحمد مطر أنموذجًا " ، رسالة ماجستير ، سمراء مكي ، كريمة مكي ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجيلالي بو نعامة خميس مليانة ، الجزائر ، ٢٠١٧م .

ـ علم اللغة مقدمة للقارئ العربي , د. ممدوح السعران ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٧٧م .

ـ عناصر البلاغة الأدبية ، د. نبيل راغب ، مكتبة الأسرة , مطابع الهيئة المصرية العامة للكتب ، ٢٠٠٣م .

ـ فن الطبقات في أدب التوقيعات ، منيرة فاعور , مجلة جامعة دمشق , ع ١+ ٢ ,مج٣٠ , ٢٠١٤م .

ـ قضايا الشعر المعاصر , نازك الملائكة , مكتبة النهضة , بغداد , ط١ , ١٩٦٢م .

ـ لسان العرب ، ابن منظور , دار احياء التراث , بيروت , لبنان , ج٨ , ط٣ , ١٩٩٩م .

ـ موسيقى الشعر , د. إبراهيم أنيس , مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٢ ، ١٩٥٢ .